

الفصل الثانى

نماذج تطبيقية من أعمال الفنانين

فى القرن التاسع عشر

زخر القرن التاسع عشر بعدد كبير من عظماء الفنانين ومنهم الفنان الفرنسى «أوديلون ريدون» (١٨٤٠ - ١٩١٦) "ODILON REDON" والذى تتلمذ على يد «دوريه» ووجهه إلى أعمال الحفر والطباعة^(١) ، لكنه لم ينتهج الرومانسية كأستاذه بل إنجته إلى الرمزية التى يعتبر أحد دعائمها وأيضاً وجه إهتمامه إلى طريقة الطباعة المسطحة "LITHOGRAPH" والتى يعتبر أحد قطبيها فى القرن التاسع عشر ، وقد كثف الدرجة الظلية السوداء فى أغلب أعماله إلا قليلاً منها مثل (لوحة رقم «٥٦») «عينان مغلقتان» "CLOS ED EYES" وهو من أكثر أعمال فن الصورة الشخصية تميزاً ، فبناءها سلس ، الجزء الظاهر من الجسد كأنه المثلث يعلوه الوجه بشكله البيضاوى ، وفى إضاءة هادئة أعطت درجات ظلية رقيقة إلا من خطوط سوداء وظلال قليلة تحدد السمات الأساسية للشخصية المرسومة وتتضاد مع لمسة الإضاءة الجانبية والتى أوضحتها الفنان ببعض الظلال الهادئة التى نشرها على الشعر حول الرأس .

وفى لوحة «رأس طفل مع زهور» "CHILD HEAD WITH FLOWERS" (لوحة رقم «٥٧») حدث العكس فبينما أغرق الضوء العمل فى لوحة «عينان مغلقتان» خرج الرأس هنا من ظلام حالك فى وضع مختلف للرأس «وضع الثلاث أرباع» ، وسيطر على تفاصيل الوجه درجة ظلية متوسطة بينما وضع الضوء على لمسات الزهور على الجانب الأيمن وأعلى اللوحة والتى أخذت ميله الوجه بها دور رئيسى فى التعبير كما حدث فى اللوحة السابقة أيضاً ، ويغلب الملمس الخشن فى لوحة «رأس طفل مع زهور» على اللوحة إلا المساحات التامة السوداء خلف الرأس وتحتة والتى أبرزته بقوة .

ونلاحظ استخدام ميل الخطوط فى التعبير أيضاً فى لوحة «بيجاسو أسيراً» "CAPTIVE PEGASUS" (لوحة رقم «٥٨») فميل جسم الشخص فى اللوحة هو الأساسى فى إبراز تعبيره نظراً لإختفاء أكثر وجهه وكذلك ميله الحصان وبالذات مقدمة رأسه ، ولقد أوجد «ريدون» تطابق بين منحني رأس الإنسان ، ورأس الحصان ، وأوضح ملاحظة فى اللوحة هى تجميع كبير للأسود على الجانب الأيسر

(١) فهيمة أمين إبراهيم - قاموس مشاهير الفنانين التشكيليين العرب والأجانب - شركة الإعلانات الشرقية القاهرة - ١٩٧١ - ص

ولكن العين لا تلبث أن تتحرك إلى يمين اللوحة نظراً لتوجه كل الاتجاهات لهذا الجانب فتفقد الإحساس بعدم الإتران ولعل هذا سر ندرة هذا العمل المأساوى والذي شاركت لمسات الإضاءة وسط الظلام فى تنقل العين فيه .

والى لوحة «الموت» "DEATH" (لوحة رقم ٥٩) ننقل ، فنرى خطأ رأسياً قد سيطر على التكوين وهو الشخص الذى يمثل «الموت» وخلفه مسافة نصف التى أمامه وتدور المنحنيات حوله لتظهر الإحساس بالخط الرأسى أكثر وتدور فى إنحناء أكبر لتكون دوائر فى نصف العمل الأسفل وتعامدت المساحات السوداء فى اللوحة لتكون حرف "T" وحولها تناثرت الدرجات الظلية لتصل إلى إضاءة تامة فى بعض المناطق أهمها جسد الشخصية والجزء الظاهر من وجهة وذراعه فأنجز الفنان تكويناً «بوحدة واحدة» متميزاً للغاية .

وتكويناً بوحدين نجده فى لوحة «القديسة أنطونى أسفل شعرها الطويل» "SAINT ANTHOUY BENEATH HER LONG HAIR" (لوحة رقم ٦٠) والتى جعل الأولوية فيها لموضوع اللوحة «القديسة أنطونى» بإظهار وجهها وتفاصيل جسدها العارى ووضعها فى صدارة العمل وإلقاء إضاءة قوية عليها بالقياس للشخصية الأخرى والتى سقطت من القنديل المعلق - الإضاءة - وسادت هذه الإضاءة على أسفل العمل على غير الشائع إلا من لمسات من «شمع الليتو» الخشن رسمت برقة عند قاعدة العمل فحملته ، ولقد توازت الاتجاهات الرأسية للشخصيتين مع خطوط الجدران ، وتضادت حركات الشخصيات والأغلال المقيدتين بهما فزادتهم إيضاحاً .

وكما طغى النور على أسفل ذلك العمل ، نجد الظلام يسود على أسفل (لوحة رقم ٦١) «إنه الشيطان» "IT IS DEVIL" ويمتد إلى أعلى فى شكل يشبه المثلث ، معبراً عن جسد الشيطان الذى سيطر على أغلب مساحة العمل فى درجة ظلية تامة السواد إلا من لمسات مضيئة تتناثر على جانب رأسه وعلى يديه اللتان تحملان الإنسان بسيطرة كاملة ، عبر عنها الفنان بضالة المحمول وأوضح سواد وسيادة الشيطان تلك الخشونة المنتشرة فى الخلفية والتى أعطت بدورها نقط مضيئة أحاطت بشخصية الشيطان ولقد إنتشر المثلث على صور مختلفة فى اللوحة (شكل رقم ١٢) ليعطى للعمل قدر من الإستقرار يساعد فى التعبير عن الفكرة ، ودائماً كان (أوديلون ريدون) معبراً رائعاً عن أفكاره مستخدماً عناصر التكوين من تكوينات غير نمطية تعد بحق طفرة فى صور بناء العمل فاتحاً طريقاً أمام من جاء بعده من الفنانين .

مثل الفنان الفرنسي «ألبرت بيزنارد» "ALBERT BESNARD" نرى هذا فى لوحته "LA FIN DE TOUT" «سكرات الموت» (لوحة رقم «٦٢») والتي عبرت عن مأساة وهى فقدان أسرة لعائلتها أمام أعينهم وفيها أسقط الفنان أغلب إضاءة اللوحة على جسد الرجل نظراً لأولويته فى موضوع اللوحة وتوزعت الإضاءة على وجوه الأطفال والمرأة ، والتي شكلت علاقة تكامل حميمة مع الرجل كان أساسياً فيها منحني جسدها الكامل السواد مع منحني الرجل ، وقد أحيطا معاً بالطفلين فى الركن الأيسر السفلى ومقعد الرجل ، ومن الجهة الأخرى بالطفل وجزء من مقعد المرأة وقطعة الأثاث التي تحمل القنديل فساعدت هذه الإحاطة على إيضاحهما معاً ، وقد أحسن «بيزنارد» استخدام تقنية الحفر الحمضى الخطى بخطوط سميكة (نسبياً) فى اتجاهات مختلفة للتعبير عن جدية الحدث ، والتعبير عن إنتشار الإضاءة التدريجى الناتج من (القنديل) وتكملة إتزان العمل حول محوره الرأسى بالمساحات السوداء تماماً فى علاقة منسجمة مع المساحات البيضاء وإيجاد إيقاع بين الوجوه والأكف عبر العمل لخدمة التعبير .

وإستخداماً متميزاً أيضاً للحفر الحمضى الخطى نراه فى (لوحة رقم «٦٣») «ميناء روفر» "PORT DE RAVER" للفنان الفرنسي التأثيرى «كاميل بيسارو» "CAMILLE PISSARO" (١٨٣١ - ١٩٠٣) الذى إستخدم مساحات سوداء تماماً مع الخطوط ، وتوزعت مساحاته فى توازن بين القريب المتمثل فى مجموعة الأشخاص فى الركن الأيمن السفلى ، والبعيد متمثلاً فى مجموعة الأشخاص وأجزاء المراكب خلفهم فى الجهة اليسرى من اللوحة ، وتمر العين عبر المساحات السوداء فى منتصفها فى طريق أفقى أكدده مسطح العمل ذاته .

ومن الحفر الحمضى الخطى ننتقل لتعبير مختلف فى لوحة الحفر الخطى الجاف للفنان الفرنسي «أوجست روادن» "AYGUSTE RPDIN" (١٨٤٠ - ١٩١٧) (لوحة رقم «٦٤») (الربيع) "LE PRINTEMPS" فنجد الخطوط السوداء تتعاون معاً فى بناء اللوحة ، وأيضاً يشترك الخط الرأسى متمثلاً فى جسم المرأة ، وهو يصلح أيضاً ليكون قطر مثلث قاعدته لأعلى (شكل رقم «١٣») وتتلاحم المساحات وتنسجم الخطوط وتتردد مثلما نرى فى المنحنى على يسار اللوحة ، والذى يتردد مع الكتلة المتشابكة للأطفال ، وبقوة الظلال يقوى الإحساس بالكتلة .

ولا نجد الإحساس بالكتلة واضحاً ونجد الإحساس بالمساحة أكثر وضوحاً فى لوحة «بول جوجان» "PAUL GOUGUIN" (١٨٤٨ - ١٩٠٣) (لوحة رقم «٦٥») "L'ESPRIT DES MORTS VEILLE" «أرواح الموت الساهرة»

فاللوحة عبارة عن مجموعة من المساحات ، وتمثل مساحة المرأة الأكثر أهمية مكان الصدارة فى قلب اللوحة فى مساحة تامة السواد وأوضح من إظهارها ترك مساحة كافية بيضاء حولها فى ترديد أفقى مع مسطح العمل ذاته ، وتأخذ المساحات المحيطة أوضاعاً شبه رأسية ليكتمل التعامد والذى أشار إليه الفنان فى خط رأسى فى الركن الأيمن العلوى ، وخط أفقى قرب قاعدة اللوحة ، وتنوع قوة الضغط على (شمع الليتو) فتعطى درجات ظليلة مختلفة لكنها تقترب من السواد تاركاً مسافات بينية بيضاء لتقوية الإيقاع وللإحياء بقوة الضوء فى هايتى .

وفى أحد أعمال الطباعة المسطحة أيضاً لفنان فرنسى آخر هو «بول سيزان» "PAUL CÉZANE" (١٨٣٩ - ١٩٠٦) (لوحة رقم «٦٦») "QUATRE BAINNEURS" «أربع مستحمون» فنراه يعتمد على الخطوط فى بناء عمله أكثر من المساحات ، فالخطوط هى التى تكون أشخاصه الأربعة المتباعدين بانتظام فى أنحاء العمل فى حركات مختلفة ، ونجد أيضاً الخطوط تكون الخلفية المتمثلة فى المنظر الخلوى فى شبه إنتظام أيضاً ، وركز مساحاته السوداء فى الركن الأيمن السفلى لتحدث (هزة) فى إتزان العمل ولتكن مدخل للوحة فى مقابل مخرجها الذى ترك خالياً من الخطوط أو المساحات فى الركن الأيسر العلوى .

وإتزان محكماً نراه فى لوحة "LA BARRICADE" «الحاجز» (لوحة رقم «٦٧») لإدوارد مانيه "EDWARD MANET" (١٨٣٢ - ١٨٨٣) فنجد أن الخط الأفقى والذى يقترب من المحور الأفقى ينصف اللوحة إلى جزئين منفصلين كل منهما يحمل إتزاناً كاملاً حول محوره الرأسى ، وأسفل وأعلى محوره الأفقى ، وبالتالي يحوى العمل ككل هذا الإتزان فى كميات الدرجات الظلية ، وقد بنى «مانيه» لوحته على (تكوين بوحدة واحدة) هى الجثة الممددة وتبدأ رأسها عند نهاية مثلث عرضى للوحة فى إتجاه إلى نقطة الركن الأيسر السفلى ودارت حوله أجزاء من جثث أخرى مع ترك مساحة من الضوء حوله لتظهر مدى ثقله الممثل فى السواد التام ، وقلت حدة الدرجات الظلية فى النصف العلوى من اللوحة لتشارك أيضاً فى إيضاح الجثث فى تحكم فى الدرجات الظلية الناتجة عن الطباعة المسطحة .

مثلما راعى «أوجست رينوار» "AUGUSTE RENOIR" (١٨٤١ - ١٩١٩) هذا أيضاً فى لوحته «أنثى جميلة ترندى قبعة» "JHUNE FEMME EM BUSTE" (لوحة رقم «٦٨») حيث أخضع تلك الدرجات لموضوع اللوحة حيث حاصر الفتاة من كلا الجانبين بدرجات داكنة من الدرجات الظلية فى أغلبها بإستثناء الجزء الذى يعلوها ، وذلك لإظهار قوة الضوء عليها والتى أنتج ظلالاً

واضحة تتلاحم مع ظلال الخلفية فوحد العمل الذى بُنى على إيقاع المثلث كما هو موضح فى (شكل رقم «١٤»).

ومن أعمال الطباعة المسطحة هذا العمل الرائع للفنان الفرنسى الرقيق «فانتين لانور» "FANTIN LA TOUR" (لوحة رقم «٦٩») (فتاتا التطريز) "LES BRADEUSES" والتى تكونت على أساس التوافق الشديد بين المشابهات والمتعارضات بالإضافة لأصل التكوين وهو (تكوين بوحدين) وبالتالى تمييز وحدة على الأخرى ، والتميزة هنا هى الفتاة فى الجانب الأيمن التى يظهر وجهها والتى يسقط عليها الضوء فتظهر ملامحها بالتعارض مع الخلفية وقتامة الملابس ، أما الأخرى والمثيرة للغموض والتى تكونت من مساحتين قائمتين هما الرأس والجسد الذان إلتصقا بالمقعد - رمز للمثابرة على العمل - وتلعب المنضدة دور الرابط بينهما وبين خلفية العمل المكونة من النافذة ذات المستطيلات مثلها وربط أصلاً بينهما الظلال السوداء التى جعلتهما كتلة واحدة ، ونلمح التنوع الدقيق فى النسب بينهما وبين حدود العمل وعناصره ، وحوار رشيق بين الخطوط المنحنية بقوة والخطوط المستقيمة وكونت كل على حدة إيقاعاً قوياً بالإضافة إلى إيقاع المستطيلات داخل العمل ومع السطح المرسوم عليه .

وقد مثل الدعامة الثانية فى الليتوجراف فى القرن التاسع عشر مع «أوديلون ريدون» مواطنه الفرنسى «هونوريه دوميه» "HONRÉ DOUMIER" (١٨٠٨ - ١٨٧٩) تلك العبقرية الفنية التى ساعدت ظروف كثيرة فى صنعه ، فمولده فى مرسيليا حيث الطبيعة الخلابة ، وميول أبيه الأدبية ومهنته كصانع لإطارات اللوحات جعلت عين «دوميه» ترتبط بفن اللوحات مبكراً ثم إنتقله فى صباه إلى باريس حيث عمل كمساعد للفنانين حين إحتدم تصارع الاتجاهات الفنية وإحتدمت أيضاً الصراعات السياسية والاجتماعية والتى إستلهم منها أغلب أعماله بأسلوب ساخر مثلما نرى فى لوحته «محام بدون قضايا يتظاهر بأنه مشغول للعناية "LAWYER WITHOUT CASES WHO PRERENDS TO BE TRE-MENDOUSLY BUSY" (لوحة رقم «٧٠») والتى يقوم بناءها على التعاون بين المثلث والدائرة والمستطيل ، المثلث يتمثل فى الشكل الذى يمكن أن يضم احمى والطفل المار عليه (شكل رقم «١٥») وجزء من دائرة تحت قدمى المحامى تتردد مع الكرة الصغيرة ، وأيضاً ترددت خطوطه مع الخططين المتعامدين فى الركن الأيمن العلوى فى تجانس مع خطوط الأشخاص الذين نظموا فى مستطيل غلبت الدرجة الظلية المتوسطة عليه على خلاف مع السواد التام الذى سيطر على شخصية المحامى وأعلى جسم الضحية تحته .

وتلعب الخطوط دوراً أكثر أهمية في (لوحة رقم ٧١) «أنثى تسب إرباكاً في مكتبة عامة» "A FEMALE AUTHOR ANNOYING RESEARCHERS AT THE LIBRARY" حيث عبرت الخطوط المنحنية في أسفل العمل عن مدى الإزعاج الذي سببته الأنثى ، مقارنة بالنظام الذي تعطيه الخطوط المستقيمة الرأسية المنتظمة في أعلى اللوحة ، وربط الفنان بين الجزئين بالسلم وزاوية ميل رأس الأنثى والكتاب خلفها ، وقد سيطر على الباحثين درجة ظلية متوسطة بإستثناء الأنثى التي أخذت درجة ظلية سوداء لتمييزها حيث أنها موضوع العمل ، وسيطر على الجزء العلوى من اللوحة درجة ظلية تقترب من الأبيض لجعلها في مؤخرة الإهتمام .

وعبرت الخطوط عن قدر من الفزع التي سيطر على بطلة لوحة «راكبة سيارة عامة بين مخمور وجزار» "RIDING A BUS BETWEEN A BUTCHER AND A DRUNK" (لوحة رقم ٧٢) حيث إنحنى الخطوط بقوة في اللوحة ككل وبالذات على جسم المرأة ، يوازنها الخطوط المستقيمة في الخلفية ، وقد عبر «دوميه» عن الموضوع بدرجات ميل أشخاصه مثلما نرى في (شكل رقم ١٦) وأعطيت المرأة أهمية خاصة بوضعها في المنتصف وزيادة كمية الدرجات الظلية عليها ، ونرى بوضوح تعارض الدرجات الظلية على الأشخاص وخلفهم باستمرار من جانب إلى الجانب الآخر ، ويدور النظر مع القبعة البيضاء للسيدة وتضفى عليها قدراً من النقاء .

وفي لوحة «كاتب عمومي غارق في الإنتظار في صالة المحكمة» "A PUBLIC SCRIBE DROWSIES IN THE WAITING HALL OF THE MAIN LAW COURTS" (لوحة رقم ٧٣) نرى أن الخطوط أكثر هدوءاً نظراً لمساعدتها للدرجات الظلية الأكثر أهمية في تلك اللوحة والتي إستخدمها الفنان بدقة لإظهار تفاصيل لوحته وتنوع الدرجات الظلية وثراءها المنتشر في العمل ، وكعادة «دوميه» نجد أن الدرجات الظلية إن تقاربت وضحت ، ألقى بأضواءه على الشخصية الرئيسية (الكاتب) والذي عادله بالرجلين على الجانب الآخر (تكوين بثلاث وحدات) ووظف «دوميه» إنحناءاته في التعبير عن مشاعره وتقترب قوة الإنحناء من قوة إنحناء الشخصان الآخرين وتعارض ، وتظهر تلك الإنحناءات وسط فيض من الخطوط المستقيمة والتي تكون مستطيلات تنتشر في أرجاء اللوحة متمثلة في الورق المعلق والمنضدة والمقعد والأرضية والقبعات وتكون إيقاع إلى جوار إيقاع حروف الكتابة السوداء .

وفي لوحة «شارع ترانسونيان» "RUE TRANSNONIAN" (لوحة رقم

«٧٤» وهى إحدى روائع فن الليتوجراف ، فنجد الضوء يتقدم على بقية العناصر فى تكوين العمل حيث ركزه الفنان على الشخصية الأساسية فى اللوحة وعلى فراشه ، وزاد من تركيزه على «القتيل» الذى ينتقل النظر بينه وبين الجثة الأخرى الممددة فى الظلام فى اتجاه عكسى للشخصية ، ثم يأتى دور الخطوط ببساطتها - على عكس المعتاد عنه - وإمعانه فى دراسات العناصر فى درجات ظلية ثرية للغاية ، وحدث حوار ليس بين الجثث الثلاث فحسب بل بين جانبي اللوحة المظللين وبينهما تسير العين فى طريق أفقى عكس اتجاه العناصر المضيفة فى اللوحة ، وهذا اتجاه آخر دعمه بخطوط الفراش ووضع الجسد الممدد على الأرض .

وهكذا بشخصيته المتفردة وقدراته الكبيرة أصبح «دوميه» دعامة أساسية من دعائم الفن ، وفن الحفر والطباعة خصوصاً ، وفن الطباعة المسطحة على الأخص حيث كان أهم أنشطته ، تعد وأعماله من أهم مكاسب القرن التاسع عشر فى الفن .



لوحة رقم (٥٦) عيان مغلقتان - أوديلون ريدون - طباعة مسطحة
Closed Eyes - Odilon Redon



لوحة رقم (٥٧) رأس طفل مع زهور - أوديلون ريدون - طباعة مسطحة

Child's Head With Flowers - Odilon Redon



لوحة رقم (٥٨) بيغاسوس أسيرا - أوديلون ريدون - طباعة مسطحة
Captive Pegasus - Odilon Redon

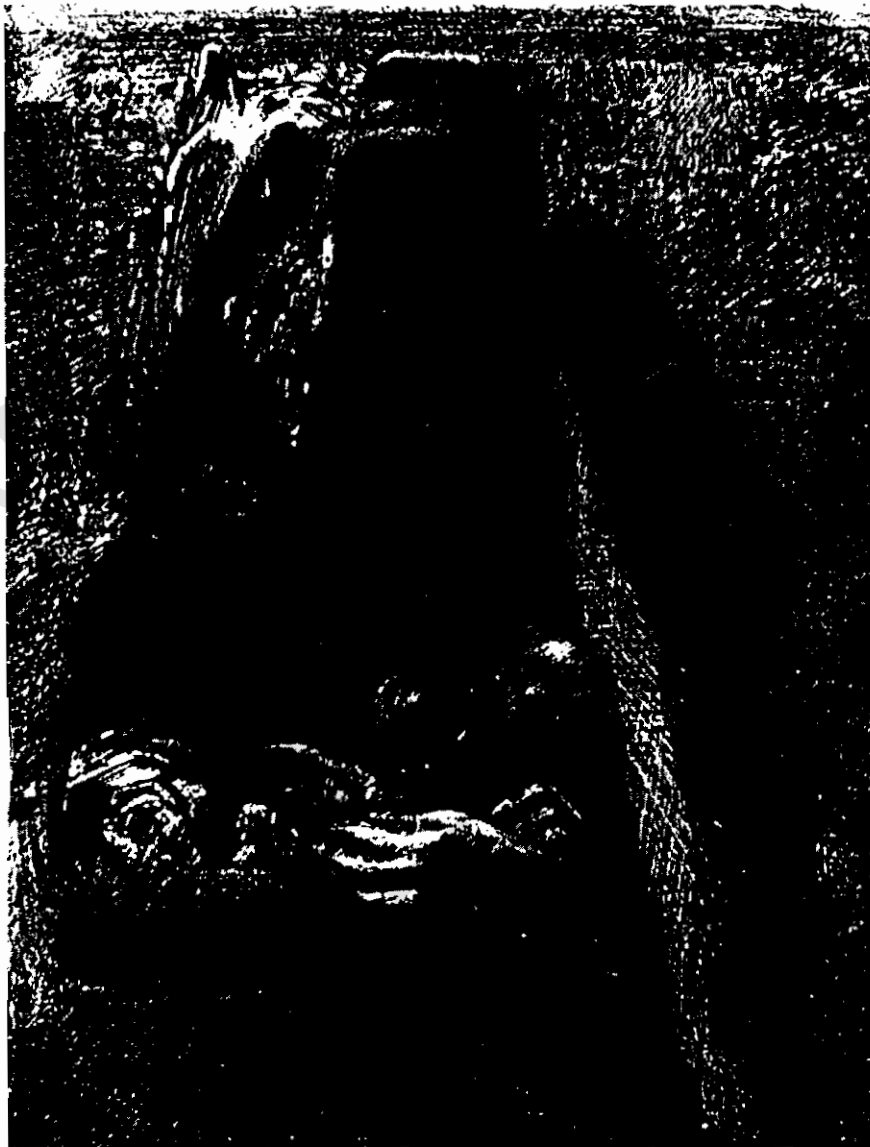


لوحة رقم (٥٩) الموت - أوديلون ريدون - طباعة مسطحة

Death - Odilon Redon



لوحة رقم (٦٠) القديسة أنتوني أسفل شعرها الطويل - أوديلون ريدون - طباعة مسطحة
Saint Anthony Beneath her Long Hair - Odilon Redon



لوحة رقم (٦١) إنه الشيطان - أوديلون ريدون - طباعة مسطحة
It Is Devil - Odilon Redon



شكل رقم «١٢»
تحليل لوحة رقم «٦١»

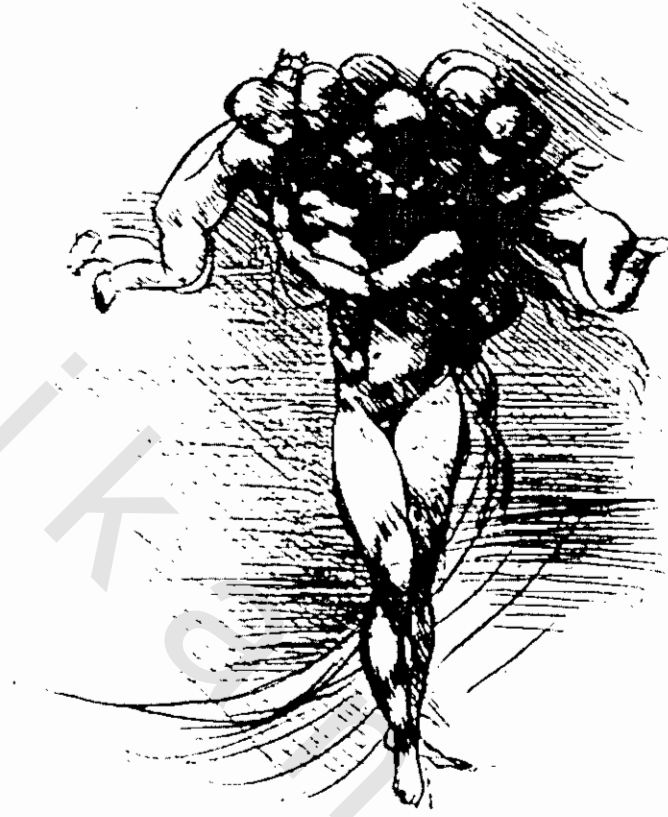


لوحة رقم (٦٢) مسكرات الموت - ألبرت بيزنارد - حفر حمضى خطى

La Fin De Tout - Albert Besnard



لوحة رقم (٦٣) ميناء روفن - كاميل بيسارو - حفر حمضى خطى - ١٨٨٣ - ١٦,٦ × ١٤,٨ سم
Port de Roven - Camile Pissoro



لوحة رقم (٦٤) الربيع - أوجست رودان - حفر خطي مباشرة بالأبرة
Le Printemps - Ouguste Rodin



لوحة رقم (٦٥) أرواح الموت الساهرة - بول جوجان - طباعة مسطحة

L'Esprit Des Morts Veille - Paul Gouguin



لوحة رقم (٦٦) أربع مستحمون - بول سيزان - طباعة مسطحة

Quatre Baigneurs - Paul Gouguin



لوحة رقم (٦٧) الحاجز - أدوارد مانيه - طباعة مسطحة

La Barricade - Paul Gouguin

المرجع السابق ،

أسس بناء العمل الفني



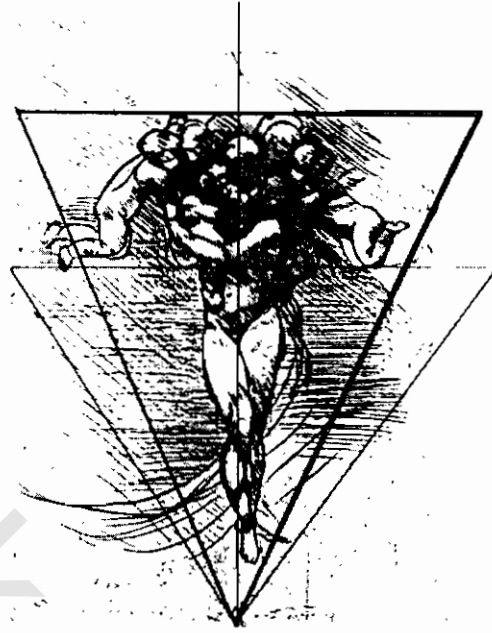
لوحة رقم (٦٨) أنثى جميلة ترتدى قبعة - أوجست رينوار - طباعة مسطحة - ١٨٨٩ - ٥٢,٦ × ٤٠ سم
Jeane Femme En Buste - Auguste Renoir

المرجع السابق .



لوحة رقم (٦٩) فنانا التطريز - فانتين لاتور - طباعة مسطحة - $\frac{5}{8} \times 7 \frac{15}{16}$ بوصة - متحف الفنون الجميلة - بوسطن

Les Bradeuses - Fantine La Tour



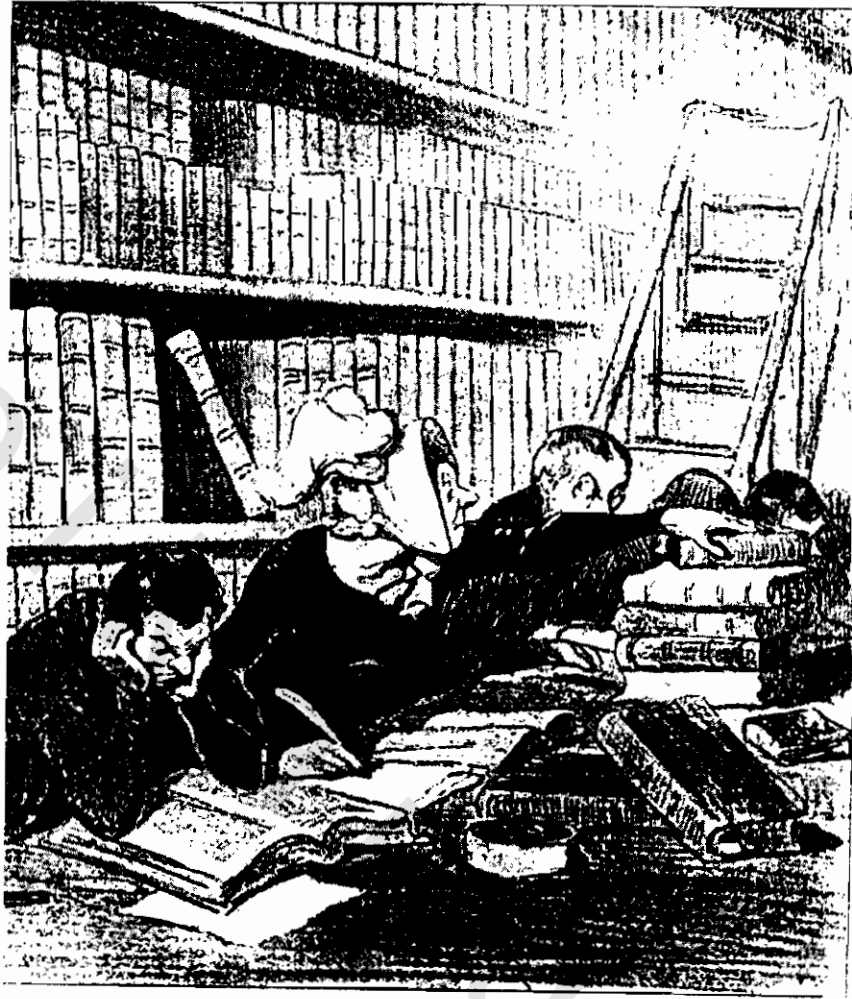
شكل رقم ١٣، تحليل لوحة رقم ٦٤



شكل رقم ١٤، تحليل لوحة رقم ٦٨



لوحه رقم (٧٠) محامى بدون قضايا يتظاهر أنه مشغول للغاية - هونوريه دوميه - طباعة مسطحة
A Lawyer Without Cases Pretends To Be Tremendously Busy - Honoré Daumier



لوحة رقم (٧١) إنثى تسبب إرباكاً للباحثين في مكتبة عامة - هونوريه دوميه
A Female Authar Annoying Researchers At Library - Honoré Doumier



لوحة رقم (٧٢) راكبة سيارة عامة بين مخمور وجزار - هونوريه دوميه - طباعة مسطحة
Ridding A Bus Between A Butcher And A Drunk - Honoré Doumier



لوحة رقم (٧٣) كاتب عمومي في الإنتظار في فناء محكمة - هونوريه دوميه

A Public Scribe Draws In The Waiting Hall of The Main Law Courts - Honoré Daumier



لوحة رقم (٧٤) شارع ترانسنويناك - هونوريه دوميه - طباعة مسطحة

Rue Transnouian - Honoré Doumieri



شكل رقم (١٥)، تحليل لوحة رقم (٧٠)



شكل رقم (١٦)، تحليل لوحة رقم (٧٢)